التلمذة الناضجة وجدانيًّا

التلمذة
الناضجة وجدانيًّا

الانتقال من المسيحيَّة السطحيَّة
إلى التغيير العميق

بيتر سكَزيرو

ترجمة: د. أوسم وصفي

أوفير
ophir

Originally published in English by The Zondervan Corporation L.L.C. a subsidiary of HarperCollins Christian Publishing, Inc. under the title: **Emotionally Healthy Discipleship** by Peter Scazzero.

Copyright © 2021 by Peter Scazzero.

Arabic Edition Copyright © 2022 by **Ophir Printers & Publishers.**

Published by arrangement with The Zondervan Corporation L.L.C. a subsidiary of HarperCollins Christian Publishing, Inc.

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means – electronic, mechanical, photocopy, recording or any other – except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

التلمذة الناضجة وجدانيًا
الطبعة العربية الأولى ٢٠٢٢م
حقوق الطبع محفوظة

أوفير للطباعة والنشر
ص.ب. ٣٠٦٢، عمّان ١١١٨١، الأردن
هاتف: ٣٣٨١ ٤٦٣ ٦ ٩٦٢+
Email: info@ophir.com.jo
www.ophir.com.jo

ISBN 978-90-5950-288-8

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

الإهداء

إلى كلِّ راعي كنيسةٍ وقائدٍ يخدم يسوع المسيح
وكنيسته حول العالم

المحتويات

القسم الأوَّل:

الوضع الحاليُّ للتلمذة المسيحيَّة

الفصل الأوَّل: أشكال الفشل الأربعة التي تَعوق التلمذة العميقة ٣

الفصل الثاني: التقييم الذاتيُّ للتَّلمذة الناضجة وجدانيًّا ٣٥

القسم الثاني:

العلامات السبع للتَّلمذة الناضجة وجدانيًّا

الفصل الثالث: أن تكون قبل أن تفعل ٥٣

الفصل الرابع: اتبعِ المصلوب، وليس النسخة الغربيَّة من يسوع ٨٧

الفصل الخامس: اقبلِ المحدوديَّة الإنسانيَّة بوصفها عطيَّةً من الله ١٢١

الفصل السادس: اكتشِفِ الكنوز المخبَّأة في الفقد والنَّوح ١٥٣
الفصل السابع: اجعلْ من المحبَّة مقياسَ النُّضج الروحيّ ١٨٥
الفصل الثامن: اكسرْ سلطان الماضي ٢٢٣
الفصل التاسع: قُد انطلاقًا من الضعف والانكشاف ٢٥٩

تطبيقُ التلمذة الناضجة وجدانيًّا ٢٩١
الملحق "أ": ثورة في ثقافة الكنيسة: رؤية مكوَّنة من ستَّة أجزاء ٣٠٥
الملحق "ب": قانون الإيمان النيقويّ(مع ملاحظات إضافيَّة) ٣١٧
شكرٌ وعرفان ٣٢١
الملاحظات ٣٢٣

القسم الأوَّل

الوضع الحاليُّ للتلمذة المسيحيَّة

الفصل الأوَّل

أشكال الفشل الأربعة التي تَعوق التلمذة العميقة

في الكتاب الأكثر مبيعًا بعنوان "**الرجل الذي ظنَّ زوجته قبَّعة**" *(The Man Who Mistook His Wife for a Hat)*، يروي أوليفر ساكس (Oliver Sacks) قصَّةَ امرأةٍ عاشت عشرات السنين في منظومةٍ أُسريَّة حَبَسَتها في شخصيَّة غير ناضجة.[1]

وصلت مادلين إلى مستشفى سانت بنيديكت سنة ١٩٨٠م وهي في سنِّ الثانية. كانت قد وُلِدَت كفيفة ومُصابة بشللٍ دماغيّ. وطَوالَ حياتها، كانت تتلقَّى من أسرتها الرعاية والحماية الزائدة وكأنَّها طفلة صغيرة. أمَّا ما صَدَم ساكس، وقد كان اختصاصيَّ الأمراض العصبيَّة المسؤول عنها في المستشفى، أنَّها كانت حادَّةَ الذكاء، وكانت تتكلَّم بسهولةٍ ولباقة، لكنَّها لم تستطع أن تفعلَ شيئًا بيدَيها.

قال لها ساكس: "لقد قرأتِ الكثير. لا بدَّ أنَّك على درايةٍ جيِّدة بطريقةِ «بريل»".

أجابَتْ قائلة: "لا، لستُ على درايةٍ بها. دائمًا ما كان شخصٌ يقرأ لي. أنا لا

أستطيع أن أقرأ بطريقةِ «بريل» ولا كلمة واحدة. لا أستطيع أن أفعل **أيَّ شيء** بيديَّ؛ فهما تقريبًا دون فائدة".

دُهِشَ ساكس، وفكَّر في نفسه قائلًا: "**اليدان لا تتأثَّران بالشلل الدماغيّ**. لقد كان يمكن أن تكونَ يداها على أفضل ما يُرام، لكنَّهما لم تكونا كذلك. هل أصبحت هاتان اليدان بلا فائدة لأنَّها لم تستخدِمْهُما من قبل؟ هل كان كلُّ شيءٍ يُفعل لهاتَين اليدَين بطريقةٍ منعَتْهما من النموِّ إلى يدَين طبيعيَّتَين؟".

لا تتذكَّر مادلين من قبل أنَّها استخدمَتْ يدَيها. ويضيف ساكس: "إنَّها لم تُطعِم نفسَها من قبل، ولا استخدَمَتِ المرحاض بنفسها، ولم تمدَّ يدَها لتفعلَ لنفسها شيئًا. كان هناك دائمًا مَن يفعلُ لها كلَّ شيء".

عاشت مادلين ستِّين سنة، كما لو كانت إنسانًا دون يَدَين. وقد قادَ هذا ساكس لأنْ يُجريَ تجرِبة. أصدرَ تعليماته للممرِّضين أن يأتوا إليها بالطعام، ويضعوه أبعدَ قليلًا ممَّا تستطيع يداها أن تصلَ إليه، كما لو كان ذلك بمحض الصدفة.

يكتب: "وذات يوم، حدث ما لم يحدُث من قبل: فبعد أن جاعَتْ ونفد صبرُها، مَدَّت ذراعها، وتَحَسَّستْ ما حولها حتَّى وصلت إلى الشطيرة، وحملتها نحو فمها وأكلت. لقد كانت هذه أوَّل مرَّةٍ تستخدم فيها يدَيها. كان ذلك أوَّلَ عملٍ يدويٍّ تؤدِّيه في السنوات الستِّين الماضية".

تطوَّرتْ مادلين بسرعة، وبدأت تمدُّ يَدَيها وتلمسُ العالم من حولها، وتستكشف الأنواع المختلفة للأطعمة، والأوعية والأدوات. وطلبَتْ طينًا وبدأت تصنع نماذج وتماثيل، كما بدأت تتلمَّس الوجوه والأشكال.

ويكتب ساكس مشيرًا إلى يدَيها: "كان المرءُ يشعُر بأنَّها ليست فقط يدَي امرأةٍ كفيفةٍ تتلَمَّس كلَّ ما حولها، بل يدا فنَّانة. عقلٌ متأمِّلٌ ومُبدع انفتح لتوِّه للواقع الحسِّيِّ والروحيِّ للعالم من حوله".

ونَمَتِ الحاسَّة الفنِّيَّة لدى مادلين حتَّى إنَّها صارت في غضون سنة معروفةً بِاسْم "مثَّالة (صانعة تماثيل) سان بنيديكت الكفيفة".

مَن كان يتخيَّل أنَّ مثل هذه الفنَّانة العظيمة المدهشة كانت مختفيةً داخل جسدِ تلك المرأة الستِّينيَّة التي عانَتْ ليس فقط جرَّاءَ إعاقةٍ جسديَّة، بل أيضًا جرتْ "إعاقتها" بفعلِ فاعلٍ على يد مَن كانوا حولها يعتَنون بها أكثرَ من اللازم؟

إنَّها قصَّة مدهشة في حدِّ ذاتها، لكنَّها في الوقت ذاته تُشبِه الديناميَّة نفسها الحادثة في كنائسنا. فهناك الكثير جرى تحويلهم إلى أطفالٍ رُضَّع، بل يكادون يُصبحون معوَّقين روحيًّا، بسبب نوعيَّة التلمذة التي تلقَّوها. إنَّهم يؤمنون بيسوع إيمانًا يَعِدُهُم بالحرِّيَّة والغنى الروحيّ، لكنَّهم يظلُّون محبوسين داخل طُرُق غير ناضجة ولا تنتمي إلى الكتاب المقدَّس في ما يتعلَّق بعلاقتهم بأنفسهم والآخرين. تجدهم يهزُّون أكتافهم وكأنَّهم يقولون، مثلما قالت مادلين عن يدَيها إنَّهما بلا فائدة: "هكذا أنا، ولا أستطيع أن أعملَ شيئًا بشأن ذلك الأمر".

هذه المشكلة، التي أشير إليها بوصفها التلمذة الضَّحلة، ليَست أمرًا حديثًا، بل هي تَسوءُ وتتعَمَّقُ بمرور السنين.[٢] عندما أتيتُ إلى الإيمان منذ خمسٍ وأربعين سنة، كانت هناك عبارة تصف الكنيسة في ذلك الوقت، بأنَّها تبلُغُ الميلَ في الاتِّساع، أمَّا في العُمق، فتبلغ إنشًا واحدًا.[٣]

لا يعني هذا أنَّه لم تكن هناك أيَّةُ محاوَلات لتغيير هذا الوضع. في الواقع، عندما عملْتُ مع كنائس حول العالم، شَهدْتُ الكثيرَ من الجهود التي تبعَثُ على التفاؤل لمواجهة هذه المحنة- اجتماعات صلاة من أجل النهضة، وحياة مجتمعيَّة مقصودة، وتركيز متجدِّد على قراءة الكتاب المقدَّس، والمزيد من الانخراط في الحرب الروحيَّة، وخدمات عبادة مُبهرة، وإعادة اكتشاف قوَّة الله الفائقة للطبيعة، والمزيد من خدمة الفقراء والمهمَّشين...وأكثر من ذلك.

كلُّ هذه الأمور ثمينة، لكنَّها لم تلمسِ القضيَّة الأصليَّة: **ما أوجه الفشل التي لا تبدو على السطح، والتي تَعوق التلمذة العميقة، وتمنعُ الناس من أن يكونوا ناضجين روحيًّا؟**

وعلى مدى السنوات الخمس والعشرين الأخيرة، أُتيحت لي فرصةُ أن أتأمَّل وأدرسَ بعُمقٍ هذا السؤال، وكذلك أنظمة التلمذة التي حالَتْ دون النضج الروحيِّ للنَّاس لوقتٍ طويلٍ جدًّا. وقد أجريتُ ذلك بوصفي الراعيَ المسؤول لكنيسةٍ محلِّيَّة، وفي أثناء عملي حول العالم مع طوائفَ وحركاتٍ مختلفة، في مناطق حضريَّة وريفيَّة وفي الضواحي، وضمن طيفٍ واسعٍ من الأعراق والثقافات، والمستويات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة.

وفي أثناء هذه العمليَّة الطويلة، أصبحْتُ مقتنِعًا أنَّ تقديمَ تلمذةٍ عميقةٍ وقويَّةٍ لشعبنا تتطلَّبُ مواجهةَ أربعة أوجه على الأقلِّ من الفشل الحاليّ:

١. نحن نقبل عدم النُّضج الوجدانيّ.
٢. نحن نؤكِّد **العملَ من أجل الله** على حساب **قضاء وقت معه**.
٣. نحن نتجاهل كنوزًا مدفونةً في تاريخ الكنيسة القديم.
٤. نحن نخطئ تعريفَ النجاح.

من المهمِّ والحيويِّ أن نفهمَ خلفيَّات هذه الأوجه الأربعة للفشل وتداعياتها. لماذا؟ لأنَّه بمعزلٍ عن الفهم الواضح لأعماق الوضع الذي نحنُ فيه، لن نطبِّق، ولن نَتَمسَّك بالحلول طويلة المدى التي من شأنها أن تتعاملَ مع العَطب الشامل الذي سبَّبته هذه الجوانب الأربعة من الفشل في كنائسنا.

فلنبدأ من جذور منظومة التلمذة التي عادةً ما تُنتجُ أشخاصًا أقلَّ اكتمالًا، وأقلَّ إنسانيَّة، وأقلَّ شبهًا بالمسيح، بدلَ أن تُنتجَ أناسًا أكثرَ اكتمالًا، وأكثرَ إنسانيَّةً، وأكثر شبهًا بالمسيح.[٤]

الفشل رقم ١: نحن نقبل عدم النُّضج الوجدانيّ

بمرور الوقت، أصبحَتْ توقُّعاتُنا لما تعنيه كلمة "روحيّ" غير واضحة حتَّى إنَّنا أصبحنا مشوَّشين ولا نرى الكثيرَ من التناقُضات الواضحة. مثلًا، كثيرًا ما تُقبَل الأمور الآتية:

- قد يكون أحدهم مُتكلِّمًا موهوبًا ويعظُ عن الله في العَلَن، وفي حياته الشخصيَّة يمكن أن يكون زوجًا منفصلًا وجدانيًّا عن زوجته، أو والدًا غاضبًا ينفَعلُ على أولادِه في البَيت.
- قد تكون وظيفتُك قياديَّة، وفي الوقت نفسه، تكونُ شخصًا بعيدًا وجدانيًّا، لا يمكن الوصول إليه، ولا يشعُر بالأمان، ودفاعيًّا إلى أقصى حدّ.
- قد تقتبسُ الكتاب المقدَّس بكلِّ سهولة، لكنَّك لا تلاحظ بتاتًا ردود فعلك تُجاهَ الناس والأحداث.
- يمكنك أن تصومَ وتُصلِّي بانتظام، لكنَّك تظلُّ ناقدًا للآخرين، وتبرِّر ذلك بكَونك قادرًا على "التمييز".
- يمكن أن تقودَ الناس "إلى الله"، في حين أنَّ هدفَك الحقيقيَّ هو احتياجٌ غير صحِّيٍّ إلى التقدير والمديح منهم.
- قد تشعر بالجرح من التعليقات القاسية من شركائك في العمل ولا تُعبِّر عن ذلك، بل تتجنَّبُ الصراع بأيِّ ثمن.
- ربَّما تخدمُ بلا كللٍ في خدماتٍ عدَّة، لكنَّك تحملُ مرارة واستياءً لأنَّك لا تحصل إلَّا على القليل من الوقت الشخصيِّ لرعاية نفسك بصورةٍ صحِّيَّة.
- ربَّما تقود خدمةً كبيرة بأقلِّ قدرٍ من الشفافيَّة، ونادرًا ما تُشارك بصراعاتك وضعفك.

كلُّ هذه مجرَّد أمثلة على عدم النُّضج الوجدانيِّ في مجال الخدمة والعمل. لكنَّك **لا ترى** أنَّها تناقُضات صارخة. لماذا؟ لأنَّنا فَصَلْنا الصحَّة الوجدانيَّة والنفسيَّة عن الصحَّة الروحيَّة. من أين أتينا بالفكرة القائلة إنَّه يمكن أن تكون ناضجًا روحيًّا، وفي الوقت نفسه تكون غير ناضج نفسيًّا؟ الإجابة متعدِّدة الجوانب، لكنْ لنُركِّزِ الآن على سببَين مهمَّين.

أوجه فشلنا الأربعة

١. **نحن نقبل عدم النُّضج الوجدانيّ**
٢. نحن نؤكِّد العملَ من أجل الله أكثر من قضاء وقت معه
٣. نحن نتجاهل كنوزًا من تاريخ الكنيسة
٤. نحن نخطئ تعريفَ النجاح

السبب ١: لم نعُدْ نقيس محبَّتنا لله بالدرجة التي نُحبُّ بها الآخرين.

كان يسوع يركِّز مِرارًا وتَكرارًا على عدم الفصل ما بين محبَّة الله ومحبَّة الآخرين. وعندما سُئل عن الوصيَّة الأولى والعُظمى، حدَّد اثنتَين: تُحبُّ الربَّ وتحبُّ قريبك كنفسك (متَّى ٢٢: ٣٤-٤٠).

وشدَّد الرسول بولس على النقطة نفسها في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، وحذَّرهم أنَّ الإيمانَ العظيم، والسخاءَ الشديد، وحتَّى المواهب الروحيَّة- دون محبَّة- **لا تساوي شيئًا** (١كورنثوس ١٣: ١-٣). بكلماتٍ أُخرى، إذا كان مَن حولنا يشعرون بأنَّنا بعيدون أو باردون أو جافُّون أو دفاعيُّون أو جامدون أو ديَّانون، فإنَّ الكتاب المقدَّس يشهد بأنَّنا غير ناضجين روحيًّا.

التعبير الأكثر ثوريَّةً لتعليم يسوع عن المحبَّة كان أيضًا أحدَ أهمِّ مبادئه الأساسيَّة: "أحبُّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مُبغضيكم. وصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم... لأنَّه إنْ أحببْتُم الذين يُحبُّونكم، فأيُّ أجرٍ لكُم؟" (متَّى ٥: ٤٤-٤٦). من جهة يسوع، لم يكُنِ الأعداءُ أمورًا تُنغصُّ علينا حياتَنا الروحيَّة، لكنَّهم الوسيلة نفسها التي تجعلُنا قادرين على اختبار شَركةٍ أعمَقَ مع الله. هذا أحد أسباب تحذير يسوع الشديد حينما قال: "لا تدينوا لكي لا تُدانوا" (متَّى ٧: ١).[٥] لقد كان يسوع يُدرك مدى سهولة أن نتجنَّبَ ذلك العمل الصعب: أن نحبَّ الآخرين.

لقد كان يسوع يعلِّم بخلافِ التعليم الشائع الذي كان يقدِّمه معلِّمو القرن الأوَّل الذين ركَّزوا على العلاقة بالله على حساب العلاقة بالآخرين. إذا كنتَ في أقدس لحظات العبادة (تقديم الذبيحة على المذبح) ثمَّ تذكَّرْتَ أنَّ لأخيك شيئًا عليك، كان معلِّمو الشريعة يعلِّمون أنَّك ينبغي أن تُكمل العبادة (لأنَّ الله دائمًا هو الأوَّل) ثمَّ يمكن أن تَصالحَ ذلك الشخص. أمَّا يسوع فقَد قَلَبَ هذا التعليم رأسًا على عقب، عندما قال: "فإنْ قدَّمتَ قربانَك إلى المذبح، وهناك تذكَّرتَ أنَّ لأخيك شيئًا عليك، فاترُك هناك قُربانك قدَّام المذبح، واذهبْ أوَّلًا اصطلح مع أخيك، وحينئذٍ تعالَ وقدِّمْ قربانك" (متَّى ٥: ٢٣-٢٤).[٦]

ما كان يسوع يُعلِّمه، ويقدِّمه نموذجًا بحياته، أنَّ محبَّةَ الإنسان لله تُقاسُ بمحبَّته للإنسان الآخر. في الواقع، كان واضحًا بشأن ذلك الأمر حتَّى إنَّه لا يمكن لتابعيه أن يفكِّروا بطريقةٍ مختلفة. لكنَّ المؤسف أنَّ أتباعَه فكَّروا بطريقةٍ مختلفة، وفعلنا نحن الأمر ذاته.

المؤسف أنَّ هذا النوع من التلمذة مفقودٌ في تلمذة المؤمنين الجُدُد وفي تنمية القادة. إنَّ عدمَ قياس محبَّتي لله بمحبَّتي للآخرين وضعَ حدًّا لنموِّي الروحيِّ والنفسيِّ في السنوات السبع عشرة الأولى من حياتي المسيحيَّة.

السبب ٢: نحنُ نُعلي من شأن الروحيّ، ولا نثق بأيِّ شيءٍ نفسيّ

يُقيِّمُ أغلب المسيحيِّين الأمورَ الروحيَّة تقييمًا أعلى من أيِّ جانبٍ من جوانب الإنسانيَّة التي خلقَها الله–الجسديِّ والوجدانيِّ والاجتماعيِّ والعقليّ. ويمكن أن نقتفِيَ أثر هذا التفضيل لما هو روحيٌّ على كلِّ جوانب الإنسان حتَّى نصلَ إلى تأثير فيلسوفٍ يونانيٍّ قديمٍ اسمه أفلاطون، عاشَ قبل المسيح بقرون عدَّة. واستمرَّ تأثيره في قادةٍ عدَّة في تاريخ الكنيسة حتَّى أصبح يؤثِّر فينا نحن اليوم.[٧] كان فحوى رسالته، والتي أصبحت لاحقًا جزءًا من تفكير الكنيسة الأولى: "أنَّ الجسدَ شرّ، والروحَ خَير". بكلماتٍ أُخرى، أيُّ جانبٍ في الإنسان بخلاف الجانب الروحيّ، هو جانبٌ مشكوكٌ فيه على أفضل تقدير. ومن ثَمَّ فإنَّ كلَّ ما هو وجدانيٌّ شعوريّ، إذا لم يُعدَّ خطيَّة، فهو يُعدُّ أقلَّ ممَّا هو روحيّ.[٨] وهذا حَصَرَ حياتَنا مع الله في ممارساتٍ روحيَّة عدَّة، مثل الصلاة، وقراءة الكتاب المقدَّس، وخدمة الآخرين، وحضور اجتماع العبادة، وأخرجَ جزءًا كبيرًا من حياتنا بعيدًا عن عمل الله.

المشكلة هي أنَّنا أكثر كثيرًا من مجرَّد كائناتٍ روحيَّة.[٩] في تكوين ١: ٢٦–٢٧، نتعلَّم أنَّ الله صنَعَنا على صورته– أي الوَحدة في الجوهر، والتعدُّد في الجوانب. وبالتأكيد، يشملُ هذا الجوهر الواحد الجانبَ الروحيّ، وهو يشملُ أيضًا الجوانب الجسديَّة والوجدانيَّة والاجتماعيَّة والعقليَّة. وعندما نفشلُ في فَهْم أنفسنا بهذه الصورة المكتملة، فإنَّ النموَّ غير الصحِّيِّ يكونُ النتيجة التي لا يمكن تجنُّبها. لكنَّنا لسببٍ ما، نستمرُّ في الإعلاء من شأن الروحيِّ على الوجدانيّ. وبمرور الوقت، فإنَّ هذا التفكيرَ غير الكتابيِّ قادَنا لأنْ نحسبَ المشاعرَ (لا سيَّما الحزن والخوف والغضب) أقلَّ ممَّا هو روحيّ، بل حسبناها بعدُ مضادَّة لكلِّ ما هو روحيّ. ويحسبُ كثيرون أنَّ كتْمَ مَشاعرنا أمرٌ يجبُ الإعلاء منه إلى درجة الفضيلة. فإنكار الغضب، وتجاهُل الألم، وتجاوُز الاكتئاب، والشكوك، وعدم التعامُل مع الوَحدة، وإنكار الطبيعة الجنسيَّة للإنسان– صارَتْ كلُّها أمورًا تعبِّر عن الروحانيَّة.

ويتميَّزُ الكثيرُ من القادة المسيحيِّين الذين قابلتُهم بالبلادة العاطفيَّة، وعادةً ما يكون وعيُهم بمشاعرهم قليلًا جدًّا أو معدومًا. وعندما أسألهم عن مشاعرهم، ربَّما يستخدمون عبارة "أشعُر"، لكنَّ ما يقولونه ليس مشاعرَ بتاتًا، بل إقرارُ حقائقَ يؤمنون بها، أو أفكارٍ يَعتقدونها. أمَّا مَشاعِرَهُم فمتجمِّدة تمامًا. وتشيرُ لغة الجسد، ونبرات الصوت، وتعبيرات الوجه لديهم أنَّ المشاعرَ موجودة، لكنَّهم ليسوا واعين بها حتَّى يميِّزوها ويعبِّروا عنها.

خمسة جوانب للإنسان

شاهدتُ هذا في الآونة الأخيرة في أثناء حوار مع أحد القسوس كان منهكًا جسديًّا ومُستنزفًا نفسيًّا بسبب المطالب الهائلة التي تضعُها عليه خدمتُه الجديدة. كان يروي، وعيناه تحملقان في أرضيَّة الغرفة وكتفاه مدلَّيتان، الضغوطَ الكثيرة التي مرَّ بها في الشهور الثلاثة الأخيرة. عندما دعوتُه أن يستمع إلى مشاعره؛ واقترحت أنَّ الله يمكن أن يتكلَّم إليه بواسطتها، نظر إليَّ متعجِّبًا وكأنَّ لي رأسَين.

وسألني: "ماذا تقول؟".

لم يكنْ لديه أدنى فكرة كيف أنَّ هناك علاقة بين ما يختبره وجدانيًّا وجسديًّا، وأسلوب قيادته وعلاقته بالله.

ومثل رعاةٍ كثيرين آخرين، فإنَّ هذا الراعي كان يفتقد إلى الجانب الغنيِّ الذي ينفتح في علاقتنا بيسوع عندما نقبل مشاعرَنا بصفتها جانبًا جوهريًّا من جوانب إنسانيَّتنا. في كتاب "**صرخة النفس**" *(Cry of the Soul)*، يصفُ العالم

النفسيُّ دان آلندر (Dan Allender) واللاهوتيُّ ترمپر لونغمان (Tremper Longman III) هذه الحالة كما يلي:

> "إنَّنا بتجاهُلنا لمشاعرنا، نُدير ظهورَنا للواقع. أمَّا بالاستماع لهذه المشاعر، فإنَّنا نتلامس مع الواقع. وعندما نتلامس مع الواقع، نتلامس مع الله...المشاعر هي لغة نفوسنا. إنَّها الصرخة التي تُعطي قلوبنا صوتًا، لكنَّنا غالبًا ما لا نُنصت إليها، وذلك بالإنكار الوجدانيِّ والتشويه والانفصال...إنَّنا بتجاهُل مشاعرنا القويَّة، نكون غير صادقين مع أنفسنا، ونفقد فرصةً رائعةً لمعرفة الله."[١٠] والمؤسف أنَّ الكنائس التي شكَّلتني، كانت تشدِّد بقوَّة على نجاسة قلبي ومشاعري ومدى خطئها. في البداية كنتُ أشعُرُ بالذَّنب عندما أسمح لنفسي بالاستجابة لمشاعري، حتَّى إنِّي كنتُ أتساءَل ما إذا كنتُ قد أنكرتُ الإيمان. لكنَّ ما اكتشفتُه لاحقًا هو أنِّي لم أنكر إلَّا المعتقدات التي لا تستند إلى الكتاب المقدَّس التي اعتقدتها الكنيسة بشأن المشاعر".

أومنُ على نحوٍ حاسم بأنَّ يسوعَ كان إلهًا كاملًا وإنسانًا كاملًا. لكنِّي نادرًا ما كنتُ أُقدِّر إنسانيَّته- أو حتَّى إنسانيَّتي أنا. وعندما أعود إلى يوميَّاتي وصلواتي المكتوبة في سنوات إيماني الأولى وسنواتي الأولى في رعاية الكنيسة، فإنَّها تؤكِّد أنَّ يسوع الذي كنتُ أتبعُه لم يكُن إنسانًا بتاتًا.

ولا أنا كنت إنسانًا.

لقد تجاهلْتُ محدوديَّتي الإنسانيَّة، وكنتُ أضغط على نفسي لأفعلَ المزيدَ والمزيدَ من أجل الله. وكنتُ أحسب أنَّ المشاعرَ "السلبيَّة"، كالغضب والحزن، هي أمورٌ مضادَّة لله، وكنتُ أتجنَّبُ التعبيرَ عنها. لقد وقعتُ في فخٍّ أنِّي إذا أمضيتُ اليوم كلَّه في

الصلاة والكلمة، أكثر روحانيَّةً من تنظيف المنزل، أو الاستماع إلى زوجتي جيري أو تغيير حِفاضات الأطفال، أو الاهتمام بجسدي.

لقد كان يسوع الذي كنتُ أعبُدُه إلهًا بمقدارٍ كبير جدًّا، وإنسانًا بمقدارٍ قليلٍ جدًّا. بصورةٍ ما، لم أرَ القصص التي كان يسوع فيها يعبِّر عن مشاعره دون خجل. فقد بَكى (لوقا ١٩: ٤١)، وحزنَ (مرقس ١٤: ٣٤)، وغضبَ (مرقس ٣: ٥)، وتحنَّنَ (لوقا ٧: ١٣)، واندهشَ وتعجَّبَ (لوقا ٧: ٩).

على مدى سبع عشرة سنة، تجاهلتُ المحتوى الشعوريَّ في سعيي إلى معرفة الله. ولم يكُنْ لمقاربات التلمذة الروحيَّة الصِّرفة للكنائس والخدمات التي شكلَّتْ إيماني أيُّ لاهوت أو تدريب يساعدني في ذلك المجال. لم يكنْ مهمًّا عدد الكتب التي أقرأها أو كلِّيَّات اللاهوت التي أرتادها. ولم يهمَّ عدد السنين التي مرَّت، سواء سبع عشرة أم خمسين سنة أُخرى. كنتُ سأظلُّ ذلك الرضيع وجدانيًّا حتَّى أدرك الجانب الوجدانيَّ من صورة الله التي فيَّ، أنا الإنسان. الأساسُ الروحيُّ الذي بنيتُ عليه حياتي، وعلَّمته لآخرين، كان مُشقَّقًا. ولم يكن ممكنًا أن أخفيَ ذلك على القريبين منِّي.

الفشل رقم ٢: نحنُ نؤكد العمل من أجل الله على حساب قضاء وقت مع الله

من أعظم التحديَّات التي تواجه كلَّ قائدِ خدمة هو كيف يصنع توازُنًا بين **العمل من أجل الله** و**قضاء الوقت** مع الله. ويعبرُ أغلبنا، بينما نبذل الجَهدَ لخدمة الله، بسرعة فوق العلاقة بالله، ولا نعطيها الوقتَ والاهتمام الكافِيَين. فنحنُ في حالةٍ مستمرَّةٍ من العَجَلة والصراع لاستغلال كلِّ دقيقة. ونُنهي أيَّامنا مرهَقين من المحاوَلات المستمرَّة لتسديد الحاجات التي لا تنتهي للذين حولنا. حتَّى "وقت الفراغ" يمتلئ بمطالبَ وحاجاتٍ من نوعٍ آخر حتَّى تصبح حياتنا مُثقَّلة بأكثرَ ممَّا تحتمل.

ويصبحُ بعضنا مُدمنين، ليس على المخدِّرات والكحوليَّات، بل على الأدرينالين الذي ينسكب في دمائنا عندما **نفعل** الأشياء. ربَّما نقرأ عن الاحتياج إلى الراحة واستعادة الطاقة، لكنَّنا نخاف من أمورٍ عدَّة قد تنهارُ إذا فعَلْنا ذلك، لذلك نقرِّر أن نواصِل. وفي هذه الحالة المتعَجِّلة المرهِقة، يكون لدينا القليل من الوقت والطاقة لنستثمرَها في علاقتنا بالله، وبأنفسنا والآخرين. ونتيجةً لذلك، تظلُّ حياتُنا كما هي دون تغييرٍ حقيقيّ، وكلُّ ما لدينا لنُعطيَه لمن نَقودُهُم هو تلك التلمذة الضحلة نفسها التي حصلنا عليها.

وبمرور الوقت يصبح امتياز قيادة الآخرين عبئًا ثقيلًا على نحوٍ متزايدٍ يؤذي نفوسَنا. وتتركُنا حاجات الناس التي تطاردنا في كلِّ مكان، مُستَنزَفين ومتوتِّرين. وبمرور الوقت، نمتلئ بالاستياء. ونشعرُ بأنَّنا محبوسين في وَضْع سيِّئ، وبأنَّنا منفصلون عن الله.

هكذا كانت الحال في سنواتي الأولى بوصفي قائدًا. كنتُ مُحمَّلًا بأمورٍ أكثرَ من اللازم لأفعلَها في وقتٍ أقلَّ من اللازم. كان لديَّ القليل جدًّا من الوقت للتأمُّل الشخصيِّ في الكتاب المقدَّس دون أن يكونَ ذلك في إطار إعداد العظات. لم يكن لديَّ الوقت لقضاء بعض الوقت مع الله في صمتٍ وتأمُّل. ونادرًا ما كنتُ أتأمَّلُ مع الله في نقاط ضعفي وفشلي. أن أكونَ مع يسوع، فقط لأستمتع به، دون غرضِ خدمةِ أشخاصٍ آخرين، كان رفاهيةً شعرتُ بأنِّي لا أستطيع أن أوفِّرها لنفسي.

أوجه فشلنا الأربعة

١. نحن نقبل عدم النُّضج الوجدانيّ
٢. **نحن نؤكِّد العملَ من أجل الله أكثر من قضاء وقت معه**
٣. نحن نتجاهل كنوزًا من تاريخ الكنيسة
٤. نحن نخطئ تعريفَ النجاح

وقد ضعفتْ ليس فقط قدرتي أن **أكون مع** يسوع، بل أيضًا قدرتي أن أكونَ مع نفسي أو مع الآخرين. فكيف يمكنني أن أكونَ في شركةٍ مع الآخرين وأنا لستُ في شركة مع نفسي ؟كيف أكون في علاقة سليمةٍ بآخرين، وأنا لا أمتلك هذه العلاقة بنفسي؟ كيف يمكن أن أكون في علاقة حميمة بالناس، وأنا لستُ في علاقة حميمة بنفسي؟

إنَّ تحدِّيَ "**أن نعملَ من أجل (المسيح)**" في مقابل "**أن نكون مع (المسيح)**" ليس تحدِّيًا جديدًا في الحياة الروحيَّة، ولا هو قاصر على القادة في الخدمة. إنَّه قديم، على الأقلِّ قِدَم الأسفار المقدَّسة نفسها، لا سيَّما القصَّة المشهورة لمريم ومرثا.

"وكانَتْ لهذه [مرثا] أختٌ تُدعى مريَم، التي جلسَتْ عندَ قدمَي يسوع وكانَتْ تسمعُ كلامَه. وأَمَّا مرثا فكانت مرتبِكةً في خدمةٍ كثيرة. فوقفَتْ وقالتْ: «يا ربّ، أَما تُبالي بأنَّ أُختي قد تركَتْني أخدمُ وَحْدي؟ فقُلْ لها أن تُعينَني!» فأجابَ يسوعُ وقال لها: «مرثا، مرثا، أنتِ تهتمِّين وتضطربين لأجل أُمورٍ كثيرة، ولكنَّ الحاجةَ إلى واحد. فاختارَتْ مريَمُ النصيبَ الصالحَ الذي لن يُنزَع منها" (لوقا ١٠: ٣٩- ٤٢).

كانت مرثا تخدمُ يسوعَ بنشاط، لكنَّها كانت تفتقده بوصفه شخصًا. كان "الواجب" هو ما يميِّز حياتها في تلك اللحظة. كان كلُّ تركيزها منصبًّا على ما يجب فعله، وما هي مُضطرَّةٌ إليه، والضغوط والتشتيت من كلِّ جانب. كان التزامُها نحو واجباتها يفصلها عن محبَّة يسوع. في الواقع، كانت مشكلة مرثا أبعدَ من مجرَّد المشغوليَّة الوقتيَّة. كانت حياتها نفسها متشظِّية وغير متمركزة. وأعتقد أنَّ مرثا كانَتْ لتظلَّ مشتَّتةً حتَّى لو وجدت الوقت للجلوس عند قدمَيْ يسوع. إنَّها حسَّاسة ومتوتِّرة وقلقة. من أوضح المظاهر أنَّ حياتها كانت مضطربة أنَّها كانت تُملي على يسوع ما يجب أن يفعله: "قُل لها أن تُعينني".

أمَّا مريَم، فكانت على خلاف أختها، نَشِطَة بصورةٍ أُخرى. كانت تجلس عند قدمَي يسوع، تستمع إليه. كانت تركِّز على أن تكونَ مع يسوع، تستَمتعُ بالشركة

معه، وتحبُّه. كانت منتبهة ومنفتحة وتستمتع بحضوره. كانت مريَم منخَرِطة في روحانيَّةٍ متمهِّلة تضعُ أولويَّةَ أن **تكون مع** يسوع فوق أن **تعمل من أجل** يسوع.

كانت مريم في مركَز الجاذبيَّة الحقيقيّ، أي يسوع. وأشكُّ أنَّه لو قامَتْ مريَم لتساعدَ في أمور البيت الكثيرة، لَمَا فعلَتْ ذلك بقلقٍ وتوتُّرٍ وحملٍ لهَمِّ أمورٍ كثيرة كانت تُشتِّت ذهنَ أختها. لماذا؟ لأنَّها متمهِّلةٌ بما يكفي ليكونَ تركيزها منصَبًّا على يسوع حتَّى تجعلَه مركَزَ حياتها. لقد كان هذا خِيارَها الأفضَل.

حينما التزمتُ أن أتبعَ المسيح، كنتُ أُشبهُ مريم كثيرًا. وقعتُ في غَرامِ يسوع، وكنتُ أقدِّسُ وقتي المنفرد معه في الصلاة وقراءة الكتاب المقدَّس. لكنْ سرعانَ ما اضطَرَبَ الميزان ما بين **الفعل والعلاقة**. كنتُ أريدُ المزيدَ من الوقت معه، لكنْ ببساطة كان ثمَّة الكثير لأفعله. كان ميزاني المختلُّ يبدو كهذا الرسم.

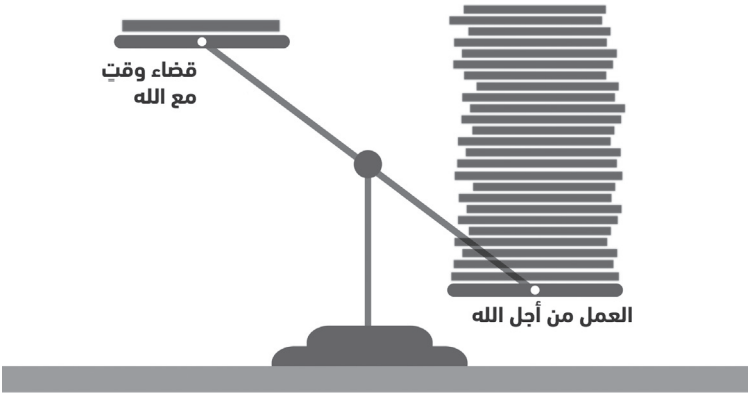

كنتُ كثيرًا ما أشعُر بأنِّي غير متَّزن. تعلَّمتُ كثيرًا في بداية حياتي المسيحيَّة عن أهمِّيَّة وقت الخلوة أو التعبُّد ودوره في تغذية علاقتي بالمسيح، لكنْ لم يكنْ هذا كافيًا للتغلُّب على رسالةٍ أُخرى تعلَّمتُها: أنِّي يجب أن أكونَ ناشطًا في خدمة يسوع

بمواهبي، وأفعل الكثير من أجله. وبمرور الوقت، تَغلَّبتْ رسالةُ الخدمة، على رسالة قضاء الوقت المتمهِّل مع الله.

وعندما نتلمذ آخرين أو نقودهم، فإنَّنا بالضرورة، نُعطي ما لدينا، لا سيَّما ما نكونُه روحيًّا، وما نحن عليه في علاقتنا بالله. رسالةُ كَينونتِنا أعلى صوتًا من أيِّ شيءٍ نقوله. إنَّنا نعطي نوعيَّة حضورنا، وطبيعة رحلتنا مع يسوع. ويعني هذا أنَّنا لا نستطيع إلَّا أن نُعطيَ ما نمتلكه بالفعل، وهي الحياة التي نحياها كلَّ يوم. كيف يمكن إلَّا أن يكون هذا؟

ما الذي نعطيه أصلًا؟

الإجابة لكثيرين منَّا أنْ ليس لدينا الكثيرُ لنُعطيه. العمل **من أجل** الله الذي لا تُغذِّيه حياة داخليَّة قويَّة **مع الله** سرعان ما سيتدهور- ونتدهور نحن أيضًا معه.[١١] وبمرور الوقت، يتحرَّك مركَز شعورنا بقيمتنا من أرضيَّة محبَّة الله، إلى أرضيَّة النجاح أو الفشل في الخدمة والأداء. عندئذٍ يختفي ببطء، وبالتدريج، السلام والوضوح والاتِّساع في الحياة مع المسيح، حتَّى إنَّنا لا نلاحظ.

الفشل رقم ٣: نحن نتجاهل كنوزًا من تاريخ الكنيسة

الجهل، بأيَّة صورةٍ من صوره- سواء كان بالأمور الماليَّة، أم الصحِّيَّة، أم التاريخيَّة، أم اللاهوتيَّة، أم أيِّ أمر آخر- له فاتورة مستحقَّةٌ أو مؤجَّلة ندفعها من حياتنا ومن أسلوب تلمذتنا. كما أنَّ للجهل أيضًا القدرة على تشكيلنا بأساليبَ لا نعلمها، وعادة ما يوجِّه مسارَ حياتنا نحو وجهاتٍ مدمِّرة.[١٢] فلأوضحْ هذا بقصَّةِ تارا وستوفر (Tara Westover) كما ترويها في مذكِّراتها المنشورة في كتابٍ بعنوان "**متعلِّمة**" *(Educated)*.

نشأت تارا في منطقةٍ ريفيَّة بولاية أيداهو (Idaho)، وكانت الصُّغرى بين سبعة أطفال ربَّاهم والدان متطرِّفان ينتميان إلى طائفة المورمون، وكانا ينتميان

أيضًا إلى جماعة تُسمَّى "الناجون"* (Survivalists) وتحكي في مذكِّراتها قصَّتَها الطويلة المؤلمة التي عاشتها في تلك الرؤية للعالم، والتي كانت رؤيةً مريضة حافلةً بالشكِّ والمؤامرة، وكانت تحسبُ أنَّ كلَّ أشكال التعليم الرسميِّ شرِّيرة، وجزءٌ من مؤامرةٍ حكوميَّةٍ لغَسْل أدمغة الأطفال والمراهقين. ومن ثَمَّ فقد تلقَّتْ تارا وأخواتها وإخوَتُها عمومًا تعليمًا بيتيًّا. وعندما بلغتْ سنَّ السابعة عشرة، أرادَتْ أن تحصلَ على نوعٍ من أنواع التعليم الرسميّ. وبالفعل تعلَّمتْ تعلُّمًا ذاتيًّا سمحَ لها باجتياز اختبارٍ ضروريٍّ للالتحاق بالجامعات الأميركيَّة. وبعد أن قُبِلتْ في "جامعة بريغام يَنغ" (Brigham Young University)، بدأت رحلتَها لملء الفراغات التي كانت موجودةً في تعليمها. مثلًا، لم تسمعْ بتاتًا بأحداثٍ تاريخيَّةٍ مهمَّة مثل "الهولوكوست" و"حركة الحقوق المدنيَّة". وبعد أن نالَتْ شهادتها الجامعيَّة، انتقلَتْ لتدرسَ الماجستير، ثمَّ الدكتوراه في تاريخ الفكر من جامعة كامبردج.

أوجه فشلنا الأربعة

١. نحن نقبل عدم النُّضج الوجدانيّ
٢. نحن نؤكِّد العملَ من أجل الله أكثر من قضاء وقت معه
٣. **نحن نتجاهل كنوزًا من تاريخ الكنيسة**
٤. نحن نخطئ تعريفَ النجاح

تصف تارا التأثيرَ الدراميَّ لكونها تربَّتْ في فُقَّاعة من الجهل على النحو الآتي:

> "قرَّرت أن أدرس المؤرِّخين، وليس التاريخ. وأعتقد أنَّ اهتمامي نبعَ من إحساسٍ من فقدان الأرضيَّة الذي شعرتُ به منذ أن

* حركةٌ مجتمعيَّة تعمل على الاستعداد لكوارث واسعةِ النطاق يتوقَّعون حدوثها نتيجةَ تفكُّكٍ متوقَّعٍ للنظام السياسيِّ والاجتماعيِّ والاقتصاديِّ (المترجم، ويكيبيديا).

> عرفت بأمر «الهولوكوست» و«حركة الحقوق المدنيَّة»، ومنذ أن أدركتُ أنَّ ما يعرفه المرء عن الماضي محدودٌ دائمًا بما يقوله له الآخرون. كنتُ أدرك معنى أن يجري تصحيحُ معتقدٍ خاطئ- معتقدٍ خاطئٍ بمثل ذلك الحجم الذي تؤدِّي زَحزحتُه إلى زحزحةِ العالم كلِّه".[١٣]

عندما قرأتُ ذلك التصريح، هالَني التشابُه بين خبرة تارا عندما شَكَّلت حياتها مفاهيمُ تاريخيَّة خاطئة، والطريقة التي تشكَّلتْ بها الكنيسة عندما جهلتْ جزءًا كبيرًا من تاريخها. لقد أدَّت هذه الثغرات المعلوماتيَّة إلى تشويهِ مفاهيمنا ولاهوتنا وتلمذتنا بأساليبَ ذات دلالةٍ وتأثير. لقد فقدنا كنوزًا من الكتاب المقدَّس، وعانينا جرَّاء العواقب ذات الأثر الممتدِّ لذلك. وهذا هو الخبر السيِّئ.

أمَّا الخبر السارّ، فهو أنَّ هذه الحالة لا ينبغي أن تكونَ مستمرَّة. إذا كنَّا مستعدِّين أن نُعلِّم أنفسَنا ونسمح لمفاهيمنا الخاطئة بأن تُصحَّح، فهذا "سيُزحزح العالم" الذي نعرفه، وينقل كنائسَنا نحو الأمام بوسائلَ مخترَقة.

فما الحقائق التي تُصحِّحُ هذه المفاهيم الخاطئة؟ ثمَّة ثلاث حقائق كبرى، حتَّى إنَّها تفتحُ خزانةً من الكنوز الروحيَّة التي من شأنها حقًّا أن تغيِّر عالمنا، وهي كالآتي:

١. نحن فقط جدولٌ من جداول النهر الكبير لله.
٢. نحن ننتمي إلى كنيسةٍ عالميَّةٍ واحدةٍ لها ثلاثة فروع.
٣. لسنا سوى حركةٍ واحدةٍ لها غسيلُها المتَّسخ ونقاطُها العمياء.

لنبدأ إذًا من النقطة الأولى التي هي أشبَه بالمنبع الذي تنبع منه النقطتان التاليتان، وهي إدراك أنَّنا جدولٌ من جداول النهر الكبير لله.

حقيقة ١: نحن جدولٌ من جداول النهر الكبير لله

لقد أتيتُ إلى الإيمان بيسوع المسيح بواسطة البروتستانتيَّة الإنجيليَّة المحافظة، وتحديدًا، من التيَّار الخمسينيّ. وتعود جذور الحركة الإنجيليَّة عمومًا إلى نحو خمس مئة سنة من حركة الإصلاح التي بدأها مارتن لوثر. وعلى مرِّ القرون، تشكَّلت هذه الحركة بفعلِ قادةٍ مسيحيِّين وحركات مسيحيَّة عدَّة، مثل جون كالڤن (John Calvin) وجوناثان إدواردز (Johnathan Edwards) و"الصحوة الكبرى" (The Great Awakenings) التي حدثت في القرنَين الثامن عشر والتاسع عشر، وتشارلز فيني (Charles Finney) وسوجورنر تروث (Sojourner Truth)، ووليَم سيمور (William Seymour) وآمي سيمپل ماكفرسن (Aimee Semple McPherson) وبيلي غراهام (Billy Graham). وتشتمل الميزات الرائعة لهذه الحركة الآتي:

- التزامُ قيادة الناس إلى علاقة شخصيَّة بيسوع المسيح
- تأكيدُ الوصول إلى كلِّ العالم برسالة الإنجيل
- إيمانٌ عميقٌ بالكتاب المقدَّس بوصفه كلمة الله
- التركيز على صليب يسوع المسيح[١٤]

أحبُّ هذا التيَّار الإنجيليَّ في التاريخ المسيحيّ، والذي ما كنتُ دونه لأكتبَ الآن أو أقود.[١٥] لكنِّي أيضًا عانيتُ جرَّاء الطريقة التي فقدَ بها ذلك التيَّار اتِّصاله بالتراث الإيجابيِّ وبتاريخ الكنيسة الكبرى، والذي يُعدُّ أحد أوجه الفشل الأربعة- تأكيد العمل **من أجل** الله على حساب **قضاء الوقت** معه. وقد قادني هذا إلى اعتناق المفهوم الخاطئ أنَّ الإنتاجيَّة في الخدمة مرادِفةٌ للنُّضج الروحيّ. ونتجت عن هذا سنواتٌ من بناء تلاميذَ وكنائسَ يمتازون بالضَّحالة روحيًّا.

إنَّنا نحتاج إلى العودة إلى جذورنا- وليس فقط جذورنا الإنجيليَّة، بل إلى جذورنا- نحن جسدَ المسيح التاريخيَّ الكبير. ويتطلَّبُ هذا انفتاحًا على التعلُّم

من مسيحيِّين عاشوا على مدار تاريخ الكنيسة، ومن مسيحيِّين حول العالم ممَّن قد يختلفون عنَّا كثيرًا. ونستطيعُ أن نفعلَ ذلك دون أن نفقدَ ميزاتنا، والهبات التي قدَّمها تيَّارنا لإرساليَّة الكنيسة عمومًا.

حقيقة ٢: نحن ننتمي إلى كنيسةٍ عالميَّةٍ واحدةٍ لها ثلاثة فروع

هناك ثلاثة أفرع أساسيَّة[١٦] للكنيسة في العالم اليوم: الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة والپروتستانتيَّة.[١٧] لكنْ على مدى نحو ١٠٥٤ سنة من حياة الكنيسة، كانت هناك كنيسةٌ واحدة. عندما نشأَتِ المسائلُ اللاهوتيَّة والانقسامات، اجتمعَ أساقفةٌ وقادةٌ من خمس مدنٍ كبرى في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة البيزنطيَّة لمناقشة هذه المسائل، وهذه المدن هي الاسكندريَّة وروما وأورشليم وأنطاكية والقسطنطينيَّة. وعُرِفَتْ هذه الاجتماعات بِاسْم المجامع المسكونيَّة.[١٨] وقد كان هدف تلك المجامع تسوية بعض المسائل اللاهوتيَّة الشائكة، مثل الثالوث وطبيعة يسوع بوصفه إنسانًا كاملًا وإلهًا كاملًا.

عُقِد المجمَع المسكونيُّ الأوَّل عندما دعا الإمبراطور الرومانيُّ قسطنطين الأساقفة ليجتمعوا في المدينة اليونانيَّة نيقية لوَضْع لاهوتٍ للكنيسة جمعاء. فصدر عن ذلك المجمَع قانون الإيمان النيقويِّ عام ٣٢٥م، ثمَّ التأمَ مجمع ثانٍ للأساقفة في القسطنطينية (إسطنبول اليوم) عام ٣٨١م لمراجعة هذه الوثيقة وتطويرها وتأكيد ما نعرفه الآن بوصفه النسخة النهائيَّة من قانون الإيمان النيقويّ (انظر الملحق "ب").

وما يجعل قانون الإيمان النيقويِّ مهمًّا أنَّه حدَّد بوضوحٍ أساسَ الإيمان المسيحيِّ الكتابيِّ على مدى أكثر من ستَّة عشر قرنًا من الزمن. وتتَّفقُ الأفرع الثلاثة الرئيسيَّة للكنيسة، الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة والپروتستانتيَّة، أنَّ قانونَ الإيمان هذا يقدِّم الأساسَ للقراءة السليمة للكتاب المقدَّس. وحتَّى يومنا هذا، ثمَّة مسيحيُّون حول

العالم يردِّدون قانون الإيمان نفسه كلَّ أسبوع في أثناء اجتماعات العبادة. وترى الطوائف الثلاث أنَّ أيَّ شخصٍ أو جماعةٍ يعترضُ على قانون الإيمان هذا، فهو يُعدُّ خارجَ حدود الإيمان المسيحيّ.

أمَّا الانقسام الكبير الذي شقَّ الكنيسة فكان عام ١٠٥٤م، حيث ولَّدَ شرخًا تزايَدَ على مدى قرون، وله جذوره المعقَّدة سياسيًّا وثقافيًّا ولغويًّا ولاهوتيًّا. ويقدِّمُ الجدول الآتي مفهومًا لذلك الانقسام وتأثيره في تاريخ الكنيسة.[١٩]

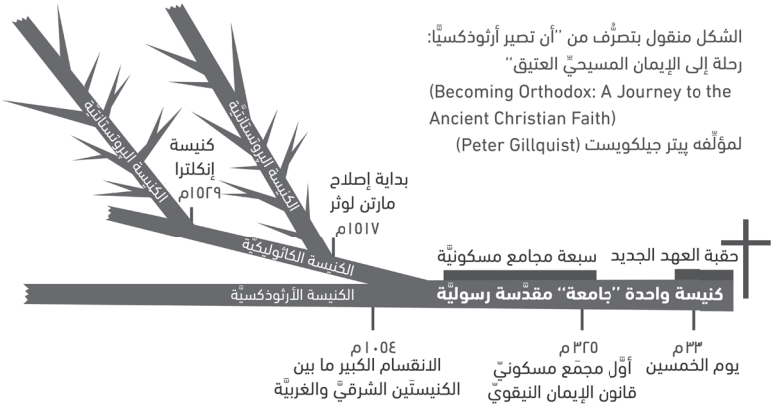

وقد ظهرَتْ بوادرُ هذا الانشقاق عندما رغب بابا روما في تعديل قانون الإيمان النيقويّ. فكان ردُّ فعل القادة في المدن الأُخرى أن حرموه من الشركة. فردَّ البابا بمعاملتهم بالمثل. بعد ذلك، أصبح المكان الجغرافيُّ الذي يعيش فيه المسيحيُّون يُحدِّد ما إذا كانوا تابعين للكنيسة الشرقيَّة (الأرثوذكسيَّة) أو الغربيَّة (الكاثوليكيَّة في روما).

ثمَّ جاءت الحروب الصليبيَّة بحملاتها العسكريَّة، التي شنَّتها السُّلطات القائمة على الكنيسة الكاثوليكيَّة منذ أواخر القرن الحادي عشر. وفي إطار استيلاء الصليبيِّين على أورشليم، هاجموا الكنائس الشرقيَّة في طريقهم ونهبوها. ومثَّلَ حصارُ كنائس

القسطنطينيَّة وأديرتها عام ١٢٠٤م والاستيلاء عليها وتسريح كلِّ مَن كانوا فيها جرحًا غائرًا لم يلتئم تمامًا حتَّى يومنا هذا. وظلَّتِ الكنيستان الشرقيَّة والغربيَّة لا تتكلَّمان معًا لما يزيد على تسع مئة سنة.

كما أدَّى التدهوُر والفساد الذي استَشرى في الكنيسة الكاثوليكيَّة في روما إلى انشقاقٍ ثانٍ، وذلك في إطار الإصلاح البروتستانتيِّ سنة ١٥١٧م، وقد استبدلَتِ البروتستانتيَّة بسُلطةِ البابا سُلطةَ الكتاب المقدَّس. وعملت على تمكين الأفراد من قراءة الكتاب المقدَّس بأنفسهم. وكان هذا اختراقًا عظيمًا أعطى الناس فرصةً للتعامُل مع يسوع المسيح تعامُلًا شخصيًّا بواسطة الكتاب المقدَّس. لكنَّه أدَّى أيضًا إلى اختبار الكنيسة البروتستانتيَّة أكثر من ثلاث مئة ألف انقسامٍ في القرون التالية. أصبحَ من السهل على الناس الآن أن ينفصلوا عن أيَّة كنيسة ويبدأون كنيستهم الخاصَّة دون أي اتِّصال بالكنيسة التاريخيَّة.

وهنا يجب أن نذكرَ حقيقتَين غاية في الأهمِّيَّة يجب أن نتعلَّمهما من تلك الأحداث، لا سيَّما من جهة إعداد تلاميذ حقيقيِّين ليسوع يختبرون تغييرًا عميقًا في شخصيَّاتهم.

أوَّلُ ١٠٥٤ سنةً من تاريخ الكنيسة هي ملكٌ للجميع- الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت.[٢٠] والحقيقة أنِّي أقابلُ مسيحيِّين كثيرين يتجاهلون ذلك التاريخ، ويتصرَّفون كما لو كانت الكنيسة قد سقطت من سفر الأعمال إلى الإصلاح البروتستانتيّ. ويرى هؤلاء أنَّ الأشخاص لا يكونون مؤمنين حقيقيِّين ما لم يكونوا إنجيليِّين أو كارزماتيِّين، بل ربَّما لا يحسبونهم مسيحيِّين أصلًا. ويتجاهل هؤلاء الأشخاص أنَّ مَن كتبوا قانون الإيمان النيقويّ، حسبوا أنَّ أيَّة كنيسةٍ تعلن أنَّها الكنيسةُ الوحيدةُ الحقيقيَّة، هي كنيسة مهرطقة. والحقيقة التي أريد تأكيدها هنا أنَّ التاريخَ الباكر للكنيسة جزءٌ لا يتجزَّأ من تاريخ الكنيسة البروتستانتيَّة- أسرتنا الكنسيَّة- بكلِّ عيوبه.[٢١]

لدينا الكثير لنتعلَّمه من الإخوة والأخوات الذين جاءوا قبلنا، لا سيَّما المختلفين عنَّا. الميراث البروتستانتيُّ جزءٌ من الكنيسة وليس كلَّها. المؤمنون الحقيقيُّون هم مَن لهم علاقةٌ حيَّةٌ بيسوع المسيح، مؤمنين بأنَّه ماتَ من أجل خطاياهم وقام ليُعطيَهم حياةً جديدة. وهم لا يحتاجون لأن يحضروا كنيستَنا تحديدًا، أو أن ينتموا إلى تراثنا الخاصّ، كي يكونوا مؤمنين حقيقيِّين. هناك الكثير ممَّا نستطيع أن نتعلَّمه عن الله والحياة المسيحيَّة من الكنيستَين الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة، حتَّى لو كان ثمَّة مسائلُ شائكة واختلافاتٌ في كلِّ ميراثٍ وتقليدٍ كنسيّ، بما فيه ميراثنا وتقليدنا.[٢٢]

الحقيقة ٣: لسنا سوى حركةٍ واحدةٍ لها غسيلُها المتَّسخ ونقاطُها العمياء

عندما كنتُ في كلِّيَّة اللاهوت، درَسْنا تاريخَ الكنيسة، لكنْ من المنظور البروتستانتي، والذي كان يشدِّدُ على المشكلات وجوانب الفشل في الكنيستَين الأخرَيَين. وفي أثناء ذلك، كنَّا نتجاهلُ الكنوزَ الموجودة في هذه التقاليد، وفشلنا دون شكٍّ في رؤية غسيلنا القذر ونقاطنا العمياء. وفي ما يلي بعض الأمثلة على هذه النقاط العمياء:

- كان مارتن لوثر يمقتُ اليهود، وكتبَ مقالاتٍ تهاجمهم، وقد استخدمها النازيُّون لاحقًا لتسويغ معاداة الساميَّة. كما أنَّه نَصَح النبلاء الألمان بذَبْح الفلَّاحين المتمرِّدين دون رحمة.
- سمح أولريخ زوينغلي (Ulrich Zwingli)، وهو قسٌّ مصلحٌ مشهور، بتعذيب المنتمين إلى طائفة المنادين بتجديد المعموديَّة (Anabaptist) وإغراقهم أحياء، وكان أحدهم تلميذًا سابقًا له، لأنَّهم كانوا يؤمنون بالمعموديَّة بالتغطيس.
- كان جوناثان إدواردز وجورج وايتفيلد (George Whitefiled)، وهما من قادة الصحوة الكبرى في القرن التاسع عشر، يملكان عبيدًا. وقد سألني

بعض الأميركيِّين من أصلٍ أفريقيٍّ في كنيستي إنْ كان هذان القائدان يُعدَّان مسيحيَّين حقيقيَّين.

- كثيرون من قادة الحركة الإرساليَّة البروتستانتيَّة، مع عددٍ من القادة الإنجيليِّين الحاليِّين، فشلوا فشلًا ذريعًا في زواجهم وحياتهم الأسريَّة. جون وسلي (John Wesley) مثلًا، لم يستطع العَيشَ مع زوجته، وكان زواجها، بكلِّ المقاييس، مضطربًا بشدَّة.
- السكيب العظيم للرُّوح القدس في "نهضة شارع آزوسا" (Azusa Street Revival) عام ١٩٠٦م في لوس أنجلوس، انقسمَ انقسامًا فظيعًا حول العرق.
- ظلَّ الفشلُ الأخلاقيُّ بين القادة البارزين جزءًا من تاريخ الكنيسة لأجيال متتالية.

عندما قال يسوع "لا تقدرُ شجرةٌ جيِّدةٌ أن تصنعَ ثمرًا رديًّا" (متَّى ٧: ١٨)، فقد كان يقول ببساطةٍ إنَّ ما نفعله ينبع ممَّا نكونه، وإنَّ الثمرَ الجيِّدَ يخرجُ من جذورٍ صحيحة وعميقة، في حين يشيرُ الثمرُ الفاسدُ من الفضائح المتكرِّرة إلى أنَّ هناك خطأً عميقًا يكمنُ في جذور تلمذتنا. أحد الأسباب المحوريَّة في أزمتنا هي الانعزال الذي تعيشه كنائسنا المحلِّيَّة وطوائفنا وحركاتنا. لقد قطعنا أنفسَنا بأنفسنا من التاريخ الثريِّ والحكمة الموجودة في الكنيسة كلِّها.

انطلاقًا من تعليم الكتاب المقدَّس، عندما ينظر الله إلى كنيسته في العالم، فهو لا يرى طوائفَ، ولا يرى آلافَ الكنائس المحلِّيَّة التي تكوَّنتْ على مرِّ آلاف الانقسامات اللاهوتيَّة، بل يرى كنيسةً واحدةً تمتدُّ في جميع القارَّات، وتتجاوز الثقافات، ولديها تاريخٌ طويلٌ وغنيّ. إنَّنا جزءٌ من هذه الكنيسة العالميَّة والتاريخيَّة، حتَّى وإنْ كنَّا قد وُلِدنا بوصفنا أبناءها في زمنٍ محدَّدٍ في التاريخ، وبلاد محدَّدة، وتقليد كنسيٍّ محدَّد.

وبقدر ما أحبُّ الفرع الذي ننتمي إليه من فروع الكنيسة، فإنِّي أدركُ بوضوحٍ أنَّ للپروتستانتيَّة جانبًا مُظلمًا. فإنَّ تركيزنا الإحيائيَّ (Revivalist) على الأفراد واتِّخاذهم قرارًا لقبول المسيح أدَّى إلى نوعَين من المسيحيَّة: المؤمنين والتلاميذ. لذلك لدينا الآن أعدادٌ كبيرةٌ من "المؤمنين" الذين قبلوا يسوع ربًّا ومخلِّصًا، لكنَّهم ليسوا "تلاميذَ" يتبَعون المسيح حقًّا. وفي الوقت نفسه، فإنَّ مبادراتِ التلمذة لدَينا تتميَّز بالتركيز الشديد على تجديد الذهن بالاعتماد على الكتاب المقدَّس، لكنَّها على الجانب الآخر ضعيفةٌ في مكوِّنات أُخرى مهمَّة وحيويَّة، وهي روحانيَّة الكتاب المقدَّس الشاملة المتكاملة، مثل ممارسة الصمت والسَّكينة والاختلاء وانتظار الله.

إذا كنَّا نريد أن نصنعَ تلاميذَ أصحَّاء وناضجين ليسوع المسيح، فيجب أن نسعى إلى التعلُّم من تاريخنا، ومن المسيحيِّين المختلفين عنَّا.

الفشل رقم ٤: نحن نخطئ تعريفَ النجاح

ثمَّة قيمةٌ مطلَقةٌ لأغلبنا: أنَّ الأكبر **دائمًا** أفضل. نريد حساباتٍ بنكيَّةً أكبر، وتأثيرًا أكبر، ومنصَّاتٍ أكبر على مواقع التواصل الاجتماعيّ، وبيوتًا أكبر، وميزانيَّاتٍ أكبر، وأرباحًا أكبر، وفريقَ عملٍ أكبر، وكنائسَ أكبر. هل يمكن أن تتخيَّلَ عملًا تجاريًّا، أو هيئة حكوميَّة، أو حتَّى منظمة غير ربحيَّة **لا تحاول** أن تزيدَ من مساحة تأثيرها؟ المنطق هنا بسيط: إذا لم نكبر، فإنَّنا نفشل، وفي طريقنا إلى الفناء.

أوجه فشلنا الأربعة

١. نحن نقبل عدم النُّضج الوجدانيّ
٢. نحن نؤكِّد العملَ من أجل الله أكثر من قضاء وقت معه
٣. نحن نتجاهل كنوزًا من تاريخ الكنيسة
٤. **نحن نخطئ تعريفَ النجاح**

لذلك يجب ألَّا نُدهَش عندما تفعلُ الكنيسة الشيءَ نفسه. إنَّنا نقيسُ النجاح بالأعداد، والأكبر هو دائمًا الهدف. نقيسُ الزيادةَ في عدد الحضور، والزيادة في مقدار العطاء، وفي عدد المجموعات الصغيرة، وعدد الخدَّام في الخدمات المختلفة. نحصي عددَ إقرارات الإيمان، والمعموديَّات، والبرامج الجديدة، والكنائس المزروعة. وإذا كانت أعدادُنا في تزايد، فإنَّنا نشعُر بأنَّ كلَّ شيء على ما يُرام، وأنَّ مجهوداتِنا تكلَّلَتْ بالنجاح. أمَّا إذا كانت الأعداد في تناقُص، فإنَّنا نحزن ونيأس ونحسب أنَّنا قد فشلنا. ولا أقول إنَّ قياس النجاح بالأعداد خاطئٌ في حدِّ ذاته. المشكلة هي أن تكونَ الأعداد هي المقياس **الوحيد** الذي نقيس به، والعلامة المطلقة للنَّجاح.

ربَّما تتساءل: "إذا لم يكُنِ النجاح بالأعداد بالضرورة هو النجاح، فما تعريف النجاح إذًا؟".

وأجيب عن هذا السؤال بالآتي: **النجاح، بحسب الكتاب المقدَّس، هو أن تكونَ الشخصَ الذي دعاك الله لتكونَه، وأن تفعلَ ما دعاك الله لأن تفعله، وذلك بطريقته ووَفقًا لتوقيته**. ويعني هذا أنَّ من الممكن أن تكون خدمة أو مؤسَّسة ناميةً من حيثُ الأعداد، لكنَّها في الوقت نفسه فاشلة. وعلى الجانب الآخر، يمكن أن تكونَ الأعداد في خدمتك متناقصة، وفي الوقت نفسه تكون خدمة ناجحة.

كلُّ العلامات المرتبطة بالأعداد- زيادة عدد الحضور، والبرامج الأكبر والأفضل، والموازنة الأكبر- كلُّها يجب أن تحلَّ في المرتبة الثانية بعد الاستماع إلى يسوع. يدعونا يسوع إلى الثبات في شخصه والإثمار فيه (يوحنَّا ١٥: ١-٥). أمَّا كيف يبدو الثبات الإثمار في المسيح، فيعتمد هذا على دعوتنا الفريدة، نحن القادة. يختلف الراعي المتفرِّغ عن القائد غير المتفرِّغ في نوعيَّة الثمر الممكنة من كلٍّ منهما.

قد تكون إحدى أفضل صور النجاح في الكتاب المقدَّس صورة يوحنَّا المعمدان.

وُلدَ يوحنَّا في أسرةٍ وقورة؛ إذ كان أبوه زكريَّا كاهنًا تلقَّى تعليمًا مهمًّا، ويشغل مكانةً مرموقةً في المجتمع. كان من المتوقَّع أنَّ يسيرَ ابنه البكر يوحنَّا على خُطاه. لكنَّ هذا لم يحدث.

تركَ يوحنَّا كلَّ شيء، وخرج إلى البرِّيَّة ليكونَ مع الله. يعتقد بعضُ الدارسين أنَّه انضمَّ إلى مجتمع "قُمران"، وهو طائفةٌ من المؤمنين اليهود انتظروا بشوق مجيء المسيَّا. لكنَّنا لا نستطيع تأكيد ذلك.[٢٣]

وكما نعرف، فإنَّ خدمةَ يوحنَّا دامَتْ سنتَين فقط. لكنَّ يسوع قال عنه: "لم يقُم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنَّا المعمدان" (متَّى ١١: ١١).

لسنا على درايةٍ بكلِّ التفاصيل، لكنَّنا نعلم أنَّ يوحنَّا ظلَّ مختليًا مع الله على مدى سنوات قبل أن يبدأ خدمتَه العلنيَّة. وعندما دارَتْ حوله أحداث فظيعة، غَرس جذورَه في الله إلى ما هو أعمق. وبدلَ أن يندفعَ ليواجه كلَّ حاجة، كان ينتظر الله. وبسماحه لكلمة الله بأن تتغلغلَ عميقًا في كِيانه، صار هو نفسُه الرسالةَ التي ينادي بها.

وبدلَ أن ينتقل يوحنَّا إلى العاصمة، أورشليم، مركَزِ الأحداث لبدء خدمته، بدأ خدمتَه في البرِّيَّة، وهي مكان يتطلَّب من الناس أن يسافروا مسافةً طويلةً نسبيًّا للوصول إليه. كان يلبسُ ويأكلُ بطريقةٍ غير مألوفة، ويبدو خَشِنًا أو فظًّا، بل متطرِّفًا أيضًا. غير أنَّ المؤرِّخَ اليهوديَّ يوسيفوس يُسجِّل أنَّ آلافًا كانوا يتدفَّقون إليه من كلِّ مكانٍ ليسمعوه.

ومن أبرز ما كان يميِّز يوحنَّا المعمدان أنَّه كان متحرِّرًا تمامًا من الحاجة إلى إرضاء الناس وإبهارهم. لم يفعل شيئًا لينالَ قبولًا أو يتجنَّب عدم القبول. مثلًا، كان القادة الدينيُّون في أورشليم الأشخاصَ الأكثرَ تأثيرًا بين يهود القرن الأوَّل. لكنَّ يوحنَّا لم يعظْ لكي يجذبَ انتباههم أو ينال رضاهم أو اعترافهم به، بل وعظَ موجِّهًا كلامه

إليهم، داعيًا إيَّاهم إلى التوبة. لقد كان ليس فقط متحرِّرًا من الرغبة في إرضائهم، بل أيضًا من القلق بشأن ما إذا كان كلامه سيغضبهم.

حظيَ القادة الدينيُّون بتعليم متقدِّم، أمَّا يوحنَّا فلا.

امتلك القادة الدينيُّون ثروةً ومكانة، ولم يمتلك يوحنَّا شيئًا منهما.

كان القادة الدينيُّون مؤثِّرين في نظر العالم، أمَّا يوحنَّا فلم يكُنْ.

لم يهتمَّ يوحنَّا بأيٍّ من هذه الأمور.

إنَّنا نميل لأن نُظهرَ احترامًا لمن يحسبهم العالمُ مهمِّين. في مثل هذه اللحظات، يظهر شعورنا بعدم الأمان ونبدأ بمحاولة إرضائهم، لكنَّ يوحنَّا لم يعدِّل رسالته لئلَّا يضايقَ أصحاب القوَّة والتأثير. كان هؤلاء القادة الدينيُّون يصلُّون خمسَ مرَّات في اليوم، ويحفظون أجزاء كبيرة من الكتاب المقدَّس، ويصومون يومَين في الأسبوع، لكنَّ كلَّ هذا لم يمنعْ يوحنَّا من أن يسمِّيهم أولاد الأفاعي (لوقا ٣: ٧). لم تكنْ لديه مشكلةٌ في أن يواجهَ الحقائق كما هي: أنَّ علاقتهم بالله كانت سطحيَّة، وأنَّهم كانوا مهتمِّين بجني المزيد من السطوة والتأثير أكثر من اهتمامهم بأمور الله.

ودون أدنى اعتذار أو تحفُّظ، دعاهُم يوحنَّا، مثل باقي شعب الله، أن يتَّضعوا وينزلوا في الماء للمعموديَّة، وهو طقسٌ يمارَس فقط عند تحوُّل شخصٍ من الأمم الوثنيِّين إلى الإيمان بالله، إذ يُعدُّون ملوَّثين ويحتاجون إلى الاغتسال.

كان يوحنَّا واثقًا بما هو عليه (ذاته الحقيقيَّة في الله)، وما ليس هو عليه (ذاته المزيَّفة). ودون تردُّد، أكَّدَ هُوِيَّته:

- لستُ المسيَّا (يوحنَّا ١: ٢٠).
- لستُ إيليَّا. ولستُ النبيّ (يوحنَّا ١: ٢١).
- أنا صوتُ صارخٍ في البرِّيَّة، يُعِدُّ الطريق أمام الرَّبّ (يوحنَّا ١: ٢٣).

- أعمِّدُ بالماء، أمَّا المسيَّا فيأتي بعدي، ولستُ مستحقًّا أن أحلَّ سيورَ حذائه (يوحنَّا ١: ٢٧).

ومن ثَمَّ كان ليوحنَّا سُلطانٌ وحضورٌ قويٌّ لم يرَه شعب إسرائيل منذ مئات السنين. وفي الوقت نفسه، بدأتْ خدمته تشهدُ تناقُصًا عدديًّا متواليًا. وفي تلك اللحظة، أكَّدَ لأتباعه: "لا يقدر إنسانٌ أن يأخذَ شيئًا إنْ لم يكُن قد أُعطيَ من السماء" (يوحنَّا ٣: ٢٧). لقد رأى يوحنَّا ما كان يجري نجاحًا له.

من الصعب رؤية أنَّ يوحنَّا كان ناجحًا في أغلب دوائر الخدمة المسيحيَّة اليوم (وتصعب أيضًا رؤية نجاح الأنبياء، إرميا وعاموس وإشعياء وحبقُّوق، بل حتَّى نجاح يسوع!). لكنَّ الكتاب المقدَّس يقدِّم يوحنَّا بوصفه نموذجًا، ويوضح أنَّ الله كان يقبلُ خدمتَه.

عندما نخطئ تعريف النجاح، فيعني هذا أنَّنا سنبذل قُصارى جَهدنا في الأشياء، مثل خدمات نهاية أسبوع على أعلى مستوًى من الأداء، وترويج ما يميِّزنا، وإعداد رسائل وعظيَّة مؤثِّرة وآسرة. ويتبقَّى أقلُّ القليل للتلمذة- تلمذة أنفسنا أو تلمذة الآخرين- لا سيَّما عندما يبدو أنَّ العائدَ منها قليل.

في الوقت القليل المتبقِّي للاستثمار في عمليَّة التلمذة المرهِقة وطويلة الأمد، والتي قد تكون مشوَّشة وفَوضويَّة، فإنَّنا نفعل ثاني أفضل أمر. نضعُ برنامجًا بسيطًا موحَّدًا للتَّلمذة يكونُ قابلًا للتطبيق والتضاعُف بسهولة. فيكون أسلوبُنا أكثر شبهًا بخطوط الإنتاج في المصانع الكبرى، مقارنةً بالتلمذة المرتبطة بالعلاقات التي قدَّم يسوع نموذجًا لها. إنَّنا نُحبُّ خطَّ الإنتاج الكثيف، أمَّا يسوع فكان يفضِّل الإنتاج "بالقطعة".

يقدِّم الشكل الآتي مقارنةً بين هذه الأسلوبَين في التلمذة.

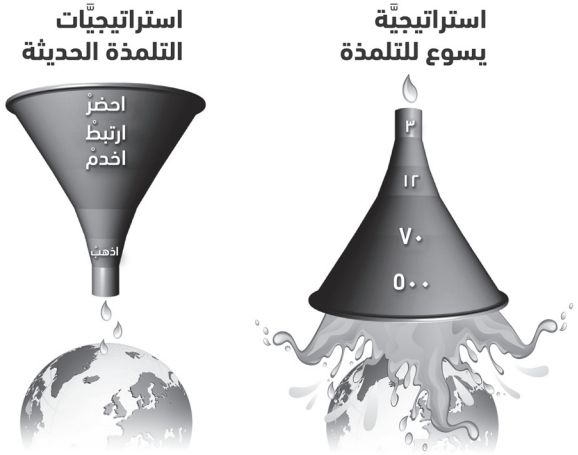

ومع أنَّ يسوع كان يعلِّمُ مجموعاتٍ كبيرة، فهو لم يؤمن بأنَّ "مقاسًا واحدًا يناسب الجميع". عندما يتعلَّق الأمر بالتلمذة، اختارَ فقط اثنَي عشر تلميذًا من بين الجموع، وعاملَهم بطريقةٍ خاصَّة جدًّا تُدرك اختلافات شخصيَّاتهم وحاجاتهم الفريدة. وقام بذلك على مدار مدَّةٍ زمنيَّةٍ طويلة- ثلاث سنوات، على وجه الدقَّة. كان يعلمُ أنَّ التلمذةَ لا تتمُّ على عَجَل.

خَلْقُ ثقافةٍ كنسيَّةٍ تؤدِّي إلى التغيير العميق للحياة

لنُعدْ أدراجَنا إلى السؤال المطروح في بداية هذا الفصل: **ما أوجه الفشل التي لا تبدو على السطح، والتي تَعوق التلمذة العميقة، وتمنعُ الناس من أن يكونوا ناضجين روحيًّا؟** لقد بحثنا عن قُربٍ الأوجه الأربعة للفشل التي يجب أن نواجهها كي نتقدَّم نحو الأمام:

١. نحن نقبل عدم النُّضج الوجدانيّ.

٢. نحن نؤكِّد العملَ من أجل الله أكثر من قضاء وقت معه.

٣. نحن نتجاهل كنوزًا من تاريخ الكنيسة.

٤. نحن نخطئ تعريفَ النجاح.

يجب أن نواجهَ هذه الأوجه الأربعة للفشل في حياتنا أوَّلًا، قبل التفكير في إعداد آخرين، ثمَّ الانتقال إلى خَلْقِ مجتمعاتٍ سليمةٍ بحسب الكتاب المقدَّس تقدِّم إطارًا وثقافةً تُتيح التلمذةَ الجادَّة وتشجِّع عليها. وحتَّى نؤدِّيَ ذلك بفاعليَّة، فإنَّنا نحتاج إلى مسارِ تلمذةٍ يعملُ على تحقيقِ التغيير العميق في الحياة.

مسار تلمذة يعمل على تحقيق التغيير العميق في الحياة

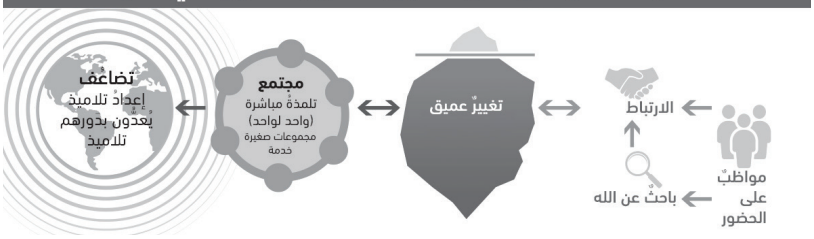

لاحظِ التدرُّج. يبدأ أغلب الناس رحلةَ التلمذة وهم أشخاصٌ يحضرون الكنيسة بانتظام، ويشاركون في كنيسةٍ أو جماعةٍ ما. وإذا كانوا باحثين عن الله، فعادةً ما يكون هناك منهجٌ يستهدفُ الباحثين، أو تبرز فرصٌ للقاءاتٍ فرديَّةٍ لاستكشاف الإيمان بيسوع. الهدف بعيد المدى هو مساعدة الناس على اختبار تغييرٍ عميق في إطار حياةٍ مجتمعيَّة إلى أن يصلوا إلى الدائرة الأخيرة في الشكل (التضاعُف)، وهي أن يتضاعفوا ويُعدُّوا تلاميذَ يُعدُّون بدَورهم تلاميذَ آخرين، فيؤثِّرون في العالم أجمع كما أوصانا يسوع (متَّى ٢٨: ١٨-٢٠).

التغيير العميق هو هدفُ التلمذة الناضجة وجدانيًّا. وفي القسم الثاني، سنركِّز على السمات السبع للتلمذة بحسب الكتاب المقدَّس، والتي تحقِّق ذلك التغيير العميق.

- أن تكون قبل أن تفعل
- اتِّباع المصلوب وليس النسخة الغربيَّة ليسوع
- قبول المحدوديَّة بوصفها عطيَّةً من الله
- استكشاف الكنوز المخبَّأة في اختبار الفقد والنَّوح
- جَعْل المحبَّة مقياس النُّضج الروحيّ
- كَسْر سلطان الماضي
- القيادة انطلاقًا من الشفافيَّة والاعتراف بالضعف

لكنَّ المهمَّ هو أن نضعَ في حسباننا أنَّ كلَّ سمةٍ من هذه السمات تقعُ في سياق ذلك الإطار الأكبر للمجتمع بحسب الكتاب المقدَّس، بما في ذلك علاقات التلمذة المباشرة والمجموعات الصغيرة والخدمة.

١. واستعدادًا لتعلُّم هذه السمات السبع، أدعوك في الفصل المقبل لأنْ تُجريَ اختبارَ تقييمٍ ذاتيٍّ لمستوى تلمذتك. لقد ساعدَ هذا الاختبار عشراتِ الآلاف حول العالم؛ إذ قدَّم لهم صورةً واقعيَّةً عن حالتهم النفسيَّة والروحيَّة، ورفعَ من دافعيَّتهم لبدء مسيرةِ ما نُسمِّيه "التلمذة الناضجة وجدانيًّا".